

اِسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

30

الرَّشِيدُ

الصَّبُورُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اِسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

الرُّشْدُ

من صفات الله (تعالى) العُظمى أنه الرُّشيدُ : أي الهادي الذي يَهْدِي عبادةً إلى طريق الرُّشد والرُّشد ، وقد أرشد الله عبادةً إلى كُلِّ الخير والحق ، عن طريق رُسُلِهِ وكُتُبِهِ السَّمَاوِيَّةِ التي احتوت على كُلِّ ما يحتاج إليه العبادُ .

فالقرآن الكريم قد احتوى على كُلِّ ما يحتاج إليه المسلم في حياته ؛ في عباداته ومعاملاته وأخلاقه ، وهو الكتاب الذي ينطق بالحق ويَهْدِي إلى الرُّشد .

قال (تعالى) : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾
(سورة الأنعام: ٣٨)

قَالَ اللَّهُ (تَعَالَى) لَمْ يَتْرُكْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ ، إِمَّا دَلَالَةً مُبَيَّنَّةً مُشْرُوحَةً ، وَإِمَّا مُجْمَلَةً يَتَوَلَّى الرُّسُولُ ﷺ بَيَانَهَا وَتَوْضِيحَهَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، حَيْثُ لَمْ يَبَيِّنِ اللَّهُ لَنَا فِي الْقُرْآنِ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ وَلَا قِيَمَةَ الزَّكَاةِ ، وَلَكِنْ الرُّسُولُ ﷺ وَضَّحَ ذَلِكَ وَفَسَّرَهُ فِي أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ . فَقَالَ : «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي» ، كَمَا أَوْضَحَ لَنَا أَنْوَاعَ الزَّكَاةِ وَقِيَمَتَهَا بِشُكْرِ دَقِيقٍ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يَسِيرُ عَلَى هَدْيِ الْقُرْآنِ ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، لِأَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ الرَّشِيدِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

قَالَ (تَعَالَى) : ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ وَأَنَا مَنِ الْمُسْلِمُونَ وَمَنِ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا وَرَشَدُوا﴾

(سورة الجن: ١٣، ١٤)

وَلِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ سَبِيلُ الرُّشَادِ وَطَرِيقُ الْخَلَاصِ

لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَرِيصًا
عَلَى تِلَاوَتِهِ وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ ، حَتَّى قَالَتْ عَنْهُ الْمَيِّدَةُ عَائِشَةُ
كَانَ خَلَقَهُ الْقُرْآنُ . كَمَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُحَافِظَ
صَحَابَتُهُ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَمُذَاوَرَتِهِ ،
حَتَّى لَا يَضِلُّوا وَلَا يَزِيغُوا .

فَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »
(رواه البخاري)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
« إِنْ الذِّبْيَ لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ
الْخَرِبِ »
(رواه الترمذي)

قَالَ (تعالى) : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
أَجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾
(سورة البقرة: ١٨٦)

إِنَّ اللَّهَ (تعالى) لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ وَلَا يَهْدِي إِلَّا إِلَى
الرُّشْدِ ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَّا عَنِ الْخَبْثِ وَالضَّلَالِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ
الْمُسْلِمَ الَّذِي يَتَّبِعُ أَوْامِرَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ مِنَ الرَّاشِدِينَ

المُهْتَدِينَ ، وَالتَّارِيخُ بَيَّنَّ لَنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ اتَّبَعَ أَوْامِرَ
 اللَّهِ ، هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الرُّشْدِ وَالْعَدْلِ وَالْإِعْتِدَالِ ، أَمَا مَنْ
 حَادَّ عَنْ مَنَهِجِ اللَّهِ ، فَقَدْ زَاغَ قَلْبُهُ وَظَنُّ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ ،
 وَذَلِكَ كَقِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودِهِمَا ، حَيْثُ كَانَ قِرْعَوْنُ
 يَظُنُّ أَنَّهُ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الرُّشَادِ وَالْهُدَى .

قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي
 الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ قِرْعَوْنُ
 مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

(سورة غافر: ٢٩)

وَمِنْ مَعَانِي اسْمِهِ (تَعَالَى) «الرُّشِيدُ» أَيْضًا : أَنَّهُ
 الْحَكِيمُ ، أَيْ الْحَكِيمُ الْمُطَّلِقُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ، فَهُوَ
 (تَعَالَى) يَتَصَرَّفُ بِحِكْمَةٍ بِالْفِعْلِ ، وَيُعْطِي لِلْعَصَاةِ الْفُرْصَةَ
 بَعْدَ الْفُرْصَةِ كَيْ يَتُوبُوا ، فَهُوَ لَا يُعْجِلُ بِالْعُقُوبَةِ
 وَلَا بِالذَّنْبِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ مَخْلُوقٌ بِحِكْمَةٍ بِالْفِعْلِ ،
 وَلَهُ غَايَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ (تَعَالَى) الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ .

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِاسْمِهِ (تَعَالَى) الرَّشِيدَ

كما يدعوه بأحب أسمائه إليه ، ومن دعائه ﷻ :

« اللهم إني أسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلبي ،
وتجمع بها شملتي ، وتلم بها شغبي ، وترد بها الفتن عني ،
وتصلح بها ديني ، وتحفظ بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ،
وتزكّي بها عملي ، وتبيّض بها وجهي ، وتلهمني بها
رشدي ، وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم هذا الدعاء
وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك الثكلان ، وإنا لله
وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،
ذي الحجل الشديد والأمر الرشيد » .

فالرسول ﷺ ، وهو أفضل خلق الله ، وهو الهادي
البشير ، يسأل ربه في خشوع وتذلل أن يرشده إلى طريق
الهداية وأن يلهمه رشده .. فما أخرجنا نحن إلى الهداية
والرشاد ! اللهم آت قلوبنا تفواها ، وزكها أنت خير من
زكّاها ، أنت وليها ومولاها .

الصَّيُوتُ

عن أنس بن مالك رضي الله (تعالى) عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«تَنْصَبُ الْمَوَازِينُ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّدَقَةِ فَيُوزَنُونَ أَجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يَنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»

قال (تعالى) : ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

(سورة الزمر: ١٠٤)

فَسَبَّحَانَ رَبِّيَ الصَّبْرُ الَّذِي يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَيَجْزِيهِمْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَهُوَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) الَّذِي لَا تَحْمِلُهُ
الْعِجْلَةُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَلَكِنَّهُ يُمْسِكُهُمْ
وَيُمْتَحِنُهُمُ الْفُرْصَةَ لِكَيْ يَعُودُوا إِلَى رَحَابِهِ ، وَهَذَا هُوَ عَيْنُ
الصَّبْرِ وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى) .

فَاللَّهُ (تَعَالَى) لَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانَ بِذَنْبِهِ مُبَاشَرَةً ، وَلَكِنَّهُ
يُعْطِيهِ الْفُرْصَةَ لِلتَّوْبَةِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
(تَعَالَى) لِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) إِذَا عَاقَبَ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى
ذَنْبِهِ لَا اسْتَحَقُّ الْجَمِيعُ الْعُقُوبَةَ ، لِأَنَّ الْبَشَرَ مِنْ طِبَاعِهِمُ
التَّقْصِيرُ وَالْمَعْصِيَةُ .

قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ وَلَوْ يُزَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا
مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُزَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾

(سورة فاطر : ٤٥)

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ يَغْتَرَّ الْإِنْسَانُ بِصَبْرِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ،
فَيَتِمَادَى فِي الْمَعْصِيَةِ وَالضَّلَالِ ، لِأَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) إِذَا
عَاقَبَ الْعَاصِيَ وَالظَّالِمَ كَانَ عِقَابُهُ أَلِيمًا .

ويعتد الصبر بالنسبة للعبد من أحب الصفات التي
يحبها الله (تعالى) ، لأن الصبر دليل على الرضا
والتسليم المطلق بأمر الله ، ولو لم يكن الصبر من أعلى
المراتب وأحب الأخلاق إلى الله ، لما أمر الله (تعالى) به
رسوله ، ولما مدح الله الصابرين والراضين بالبلاء .

قال (تعالى) : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي
مَسْنِي الشَّيْطَانَ يَنْصِبُ وَعَذَابٌ * أَرَكُنُ بِرَجْلِكَ هَذَا
مَغْتَاسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً
مِّنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ * وَخَذْ بِيَدِكَ ضَغْطًا فاضْرِبْ بِهِ
وَلَا تُخَنِّثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَرَابٌ ﴾

(سورة ص: ٤٩-٤٤)

وقد قيل : العسر يعقبه اليسر ، والشدة يعقبها الرخاء ،
والنعب يعقبه الراحة ، والضييق يعقبه السعة ، والصبر
يعقبه الفرج ، وعند اشتداد الأزمة تنزل الرحمة ، والموفق
من رزقه الله صبراً وأجرأ ، والشقي من ساق إليه القدر
جزعاً ووزراً .

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « الصبر ثلاثة : صبر على

المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها ، كتب الله له ثلاثمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الأخرى كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب له ستمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين . (أخرجه ابن أبي الدنيا)

ويقول الله (تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عَقَبَى الدَّارِ ﴾ (سورة الرعد : ٢٢ - ٢٤)

ولعل الإنسان حين يفكر في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحث على الصبر وتدعو

لِلتَّمَسُّكِ بِهِ ، يَجِدُ أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ وَضَعَ لَنَا
 الْعِلَاجَ النَّاجِعَ لِكُلِّ مُشَاكِلِنَا عَنْ طَرِيقِ هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ .
 فَمُعْظَمُ الْمَعَاصِي وَالْجَرَائِمِ وَالْمُخَالَفَاتِ تُرْتَكَبُ بِسَبَبِ
 السَّرْعَةِ وَالتَّهَوُّرِ وَالْعَجَلَةِ ، وَلَوْ تَأَنَّى الْإِنْسَانُ وَصَبَرَ وَكَظُمَ
 غَيْظُهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، لَمَا وَقَعَ فِي الْمَعْصِيَةِ . فَأَلْإِنْسَانُ قَدْ
 يَتَعَرَّضُ لِلْمُضَايِقَاتِ فِي الْعَمَلِ أَوْ فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي الشَّارِعِ ،
 وَقَدْ يَخْرِجُهُ ذَلِكَ عَنْ شُعُورِهِ فَيُخْطِئُ ، غَيْرَ أَنَّ الْإِسْلَامَ
 أَمَرَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ، حَيْثُ أَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَتَحْمِلِ الْأَذَى .
 فَمَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

« أَوْصِنِي ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » ، فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ :

(رواه البخاري)

« لَا تَغْضَبْ » .

إِنِّهَا رَضِيَّةٌ بَسِيطَةٌ وَقَصِيرَةٌ ، وَلَكِنَّهَا عَظِيمَةُ الْأَثَرِ ،
 وَكَفِيلَةٌ بِأَنْ تَحُلَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي نَرَاهَا الْيَوْمَ ، فَمَا
 أَحْوَجُنَا إِلَيْهَا ، وَمَا أَشَدَّ أَحْتِيَاجَنَا لِكُلِّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ :

« اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الصَّابِرِينَ
 الَّذِينَ يَرْضَوْنَ مَا قَسَمْتَهُ لَهُمْ ، حَتَّى نُوَفَّى أَجُورُنَا بِغَيْرِ

حِسَابٍ

وفي الختام لنا كلمة

صديقي العزيز ، لقد انتهت رحلتنا مع أسماء الله الحسنى عبر هذه السلسلة ، وفي نفس اللحظة بدأت مسيرتنا تجاه هذه الأسماء ، لا تنس - صديقي - أننا اتفقنا على أن نحفظ الأسماء الحسنى ، لا بمعنى القدرة على ترديدها أو استدعائها من الذاكرة ، لكن حفظ هذه الأسماء - والذي يوجب الجنة - كما قال رسول الله (ﷺ) - يعني أن نعي حقيقة هذه الأسماء ومعانيها ، وأن نعيش في رحابها بعقولنا وقلوبنا وأرواحنا ، فتسمو هذه النفوس ، وتخلق هذه الأرواح ، ويرقى الإنسان إلى مستوى الاختيار ؟ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .

فإذا كنا قد عشنا مع هذه الأسماء وأدركنا بعض أسرارها ومعانيها لما فتح به الله علينا ، فالآن هيا لترجم هذه الأقوال إلى أفعال .

فإذا كنا قد عرفنا أن من معاني اسمه تعالى : الله ، أنه لا معبود بحق إلا الله ، فهيا نخلص لله ، ولا نخشى إلا الله ، فهو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي منحنا سر الحياة ، وهو - وحده - القادر على أن يملأنا الحياة .

فالله أحق أن نخشاه ، والله أحق أن نعبد . والله أحق أن نطيعه . والله أحق أن ندعوه : ﴿ أَسْمِعْ يَجِيبُ الْمُسْتَجِرُّ إِذَا دَعَا ﴾ ﴿ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ ؟ ﴾ . ولذلك يجب أن نطيل النظر ، ونترقب أمام هذا الاسم الأعظم طويلاً ، لأن كل الأسماء الأخرى تابعة له ولا حقة به ، كما يجب أن تلهج ألسنتنا وتعطر أفواهنا وتحرك كل حواسنا بذكره ، لكي يمنحنا القوة والثبات واليقين .

وإذا كنا عرفنا أن الله هو الرحمن الرحيم التواب الغفور ،

فإننا لا نقتس أبداً من رحمته ، فإلله يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات ، وهو أرحم بعباده من أنفسهم ، وأرحم بالعباد من الأم
بوالدها ، ورحمته وسعت كل شيء ، وهو يرحم العباد جميعاً ، لكنه
يخص عباده المؤمنين بالرحمة الخاصة ، فينعم عليهم بالسكينة
والاطمئنان ، وفي الآخرة يدينهم منه ، فينعمون بقربه ورضاه . على
أن المسلم الصادق الواعي ، لا يجب أن يغتر بهذه الرحمة ، فيقتصر في
عمله ويتراكل ، فلما منه أن باب الجنة مفتوح على مصراعيه يدخل منه
المسلم والكافر ، والطائع لربه والعاصي ، كلا . فإن سلعة الله غالية ،
وسلعة الله هي الجنة - كما قال رسول الله (ﷺ) - وقد حَقَّتْ الجنة
بالمكافاة والنار بالشبهوات . أي أن طريق الجنة يقتضي من المسلم
الصبر والاحتساب ، الصبر على الأذى ، واحتمال الصعاب لكي يصل
الإنسان إلى مبتغاه .

ولذلك ، لو تأمل الإنسان في سائر الأسماء والصفات الحسنى ،
فسيجد أن الرحمن الرحيم التواب الغفور يقابله أيضاً أحسب القهار
المتقن الجبار الضار النافع المتكبر ، فلا ينبغي أن تأخذ جانباً وتهمل
جانباً آخر . قال تعالى : « نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ
عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

فَعَذَابُ الْكُفَّارِ وَالْعَصَاةِ وَحَرَمَانِهِمْ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، لَيْسَ ظُلْماً لِمَا هُوَ
عَيْنُ الْعَدْلِ ، لَقَدْ طَغَوْا وَتَجَبَّرُوا وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ ، وَأَهْلَكُوا الْحَرْثَ
وَالْفَسْلَ ، فَهَلْ يَتْرَكُ هَؤُلَاءِ دُونَ أَنْ يَنْالُوا عِقَابَهُمْ ؟ وَهَلْ يَقْلَتُ فِرْعَوْنُ
وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَالصَّمُرُودَ وَأَبُو لَهَبٍ وَأَبُو جَهْلٍ وَشَارُونَ فِي نَهَاةِ الْمَطَافِ ؟

إن من عدل الله ورحمته ألا يفلت هؤلاء أبداً . ﴿ وفرغون
ذی الأوتاد الذین طفوا فی البلاد . فاکثروا فیها الفساد . فصب
علیهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد . ﴾

أرأيت ؟ إن ربك لبالمرصاد ! والآن أسألك سؤالاً وأحاول مشاركتك
فی الإجابة .

.. هل أنت مشغول بالمستقبل ؟ سأريحك من عباء الإجابة وأقول لك :
كل البشر مشغولون بالغد وما يكون فیہ . كلهم يفكر ، هل ينجح
فی حياته ؟ وهل يوفق فی اختبار ما ؟ وهل يحقق ثروة ؟ وهل يشفى
من هذا المرض ؟ وهل يعمر طويلاً فبعیش حتى يكون له أبناء وأحفاد
وأحفاد أحفاد ؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تلازم الإنسان فی كل عصر
وحين ..

إنني أوافقك تماماً على أن تشغل بهذه الأشياء ، لكنني لا أوافقك
أبداً فی أن تجعل هذه الأشياء تؤرقك أو تنقص عليك حياتك ، وذلك
لسبب بسيط للغاية ، وهو أن هذه الأشياء لا يعلمها إلا الله ، وهو
الذي يديرها ، وهو وحده الذي يملك النفع والضر ، ولا يمكن لشيء أن
يحدث فی الكون بدون إرادته ، فهو الفعال لما يريد ، وهو عالم الغیب .
إذن ، يجب أن تشغل بالشئ الذي يجب أن تقوم به فقط .. طلب
الله منك أن تأخذ بالأسباب لكي تصل إلى تحقيق النتائج ، فما الذي
يمنعك ؟ طلب منك أن تعبده وتعقرب إليه لكي يدخلك الجنة ..
فما يؤخرک ؟ حتى فی الصحة والمرض والرزق والأمور الدنيوية ، طلب
منك أن تأخذ بالأسباب ، فنهاك عن الإسراف فی الطعام والسهو
واللعب ، وأمرک بالاعتدال ، كي لا تشعب أعضاء جسدك ﴿ وكلوا

واشربوا ولا تسرفوا ﴿١٠٦﴾ وقال (ﷺ) :

«العدة بيت الداء» - وحث الأمة على البكور لكي تنجز أعمالها ،
ويذاكر الطالب دروسه ، ويبدأ بالأهم فالهمم ولا يؤجل الإنسان عمل
اليوم إلى الغد حتى لا يصاب بالإعياء والاكتئاب .. فهل استمع
الإنسان إلى هذه التوجيهات ؟

لقد لفت نظري طويلاً حديث رسول الله (ﷺ) : «من أراد الدنيا
فعليه بالقرآن . ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن . ومن أرادهما معاً فعليه
بالقرآن» . وكنت أسأل نفسي : أنا أريد الدنيا - أى المال والشهرة
والنجاح وغير ذلك ، فكيف يكون ذلك عن طريق القرآن ؟ إن القرآن
كتاب ذكر وتلاوة وعبادة ، فكيف يجتمع ذلك والدنيا التى هى عبارة
عن كدّ وشقاء وتعب ونجاح وإخفاق ؟ ونظرت فى حياة مجموعة من
الناجحين فى عملهم فى الدنيا ، فوجدتهم - حتى وإن لم ينسبها هم
لذلك - ملتزمين بالقواعد العامة الموجودة فى القرآن . فالقرآن يدعو
الإنسان إلى الانضباط ، وأنه لا يجنى الثمرة ما لم يبذر الحبة ، وأن
الجزاء من جنس العمل ، وأن من أرضى الله ، أرضى الله عنه الناس ،
وجعل له القبول فى الدنيا والآخرة .

انظر إلى المخترعين والمفكرين والأدباء والشاهير ، ستجد أنهم - فى
جوهرهم - أخذوا بالنهج القرآنى ، فكتب لهم النجاح . ولذلك نجد
القرآن تمتد آثاره لتشمل كافة جوانب الحياة ، فهو ليس من أجل أن
يوضع فى حجاب أو على مدخل البيت أو على رف السيارة ، إنما هو من
أجل أن يكون دستور حياة ، وأن يتحول الإنسان بكل همته ونشاطه
ليستبسط منه ما يسعده فى الدنيا والآخرة .

صديقى العزيز .. الكلام الذى أوجهه إليك - صدقنى -

أوجهه إلى نفسى أولاً . فأنا وأنت فى حاجة إلى أن يذكر كل منا الآخر ، أنا أذكرك لأننى أحبك فى الله ، وأنت تذكرنى لأن بيننا الآن صلة رحم ، فالعلم رحم بين أهله ، وأنا وأنت أخرج ما نكون إلى الذكرى النافعة ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هيا نتعاهد على :
- حفظ أسماء الله الحسنى بالمعنى الصحيح الذى أشرنا إليه .

- حفظ ما ينسب من كتاب الله ، وإحاطة على الصلوات فى أوقاتها .

- الصدق فى كل الأحوال .

- مراعاة الله فى كل ما نفعل .

- طاعة والدتيهما مهما كان الأمر فلولاهما ما جئنا إلى هذه الحياة .

- فعل الخيرات قدر المستطاع ، كمساعدة المحتاج والتعاون مع الأصدقاء .

- الاجتهاد فى دراستنا ، لأن فى ذلك إرضاء لله ومصلحة عظيمة لأوطاننا ، فهذه من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة .

- الابتعاد عن الغيبة والنميمة وكل ما يغضب الله .

- أن نحترم معلميك وأساتذتك وأن تعرف قدرهم وتدعو لهم .

وختاماً .. أسأل الله أن يوفقكم بما قرأتم وأن يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم .

الفقير إلى ربه : وجهه يعقوب السيد